الإكليل

في المتشابه والتأويل

تأليف

شيخ الإسلام تقى الدين أحمد بن تيمية

خرج أحاديثه وعلق عليه
محمد الشيمي شحاته
حفظه الله

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل،
اسكندرية - ت : ٥٤٥٧٧٦٩

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله

أما بعـد

فهذه رسالة « **الإكليل فى المتشابه والتأويل** » ، عرض فيها شيخ الإسلام ابن تيمية لموضوع خطير . الا وهو التأويل ، الذى كان له دور خطير فى تفتيت وحدة المسلمين كما كان له دور أشد خطورة فى طمس معالم الدين ، ولله در الإمام ابن القيم حين دعاه « **طاغوت التأويل** » وخص له جزء كبيراً من الصواعق المرسلة ، إذ جعله إصل الطواغيت التى يجب كسرها .

وقد بدأ شيخ الإسلام هذه الرسالة بذكر أقسام القلوب تبعاً لاستجابتها للحق، وفى هذا إشارة إلى الجانب الأخلاقى من العقيدة والعلم وبيان لمفاسد التأويل على الحياة بأكملها ، فهناك فرق بين قلوب مرضت بالشكوك والشبهات وقلوب مؤمنة مخبتة لانت للحق وثبتت عليه ، ومن القلوب المريضة بمرض الشكوك والشبهات قلوب أهل التأويل .

ومنهج شيخ الإسلام فى هذه الرسالة وسائر كتبه منهج سلفى صاف، فقد اعتمد على صحيح المنقول وصريح المعقول ، إذ قام بدراسة للآيات الكريمة التى ورد فيها لفظ « **التأويل** » أبان فيها عن المعنى القرآنى للتأويل ، وبان به الفرق بين معناه عند المؤولة بأصنافهم :

وقد بين أن المتشابه ما يحتمل معنيين مثل العام والمطلق والمجمل وبين أن الإحكام يكون تارة فى التنزيل وتارة فى إبقاء التنزيل معمولاً به غير منسوخ

وتارة فى التأويل والمعنى وهو تمييز الحقيقة المقصودة من غيرها حتى لاتشتبه بغيرها ، ويبين أن الله عز وجل لم يقل فى المتشابه لا يعلم تفسيره ومعناه إلا الله وإنما قال ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله ﴾ .

وأهل الزيغ يتركون المحكم الذى لا اشتباه فيه ويبتغون المتشابه طلباً للفتنة ونشر الفساد ، وابتغاء تأويله هو طلب الحقيقة التى أخبر عنها ، ولما كان الكلام نوعان: إنشاء فيه الأمر ، وإخبار ، فإن تأويل الأمر - كما يوضح شيخ الإسلام بحق - هو نفس الفعل المأمور به وتأويل الإخبار هو عين الأمر المخبر به إذا وقع، وليس تأويله فهم معناه ، مثل أمر الجنة والنار نفهم معنى الآيات التى وردت فيها ولكن لايدرك حقيقتها الخاصة بها لعدم إدراك عينها أو نظيرها من كل وجه، إذ معرفة حقيقة الذات أصل معرفة حقيقة صفاتها .

ويبين شيخ الإسلام أن الخبر له صورة علمية فى الذهن وله حقيقة خارجية فمعرفة تفسيره هو معرفة الصورة العلمية والتأويل هو الحقيقة الخارجية، وهذا يشبه ما ذهب إليه الراغب الأصفهاني من أن التفسير للألفاظ والتأويل للمعانى .

ويبرز شيخ الإسلام مشكلة التطور الدلالى وأثرها فى فهم القرآن ، فمصطلح التأويل كما عرفه أهل البدع صار بعد ذلك يفهم به لفظ «التأويل» كما جاء فى القرآن، وحمل آيات القرآن على الحديث فى اللغة بدعة يقول بها صراحة بعض أهل الزيغ فى عصرنا ولها خطورتها على الدين .

أما إدخال الأسماء والصفات فى المتشابه إن كان بمعنى لايفهم معناه فباطل وقول مبتدع لم يقل به أحد من سلف الأمة ، وقد استخدم شيخ الإسلام صريح المعقول فى هذا الجزء من الرسالة فأجاد وأفاد .

ومن الملاحظ أن شيخ الإسلام يهاجم التعطيل والتجسيم ، ونشير هنا إلى بشاعة نسبة الكوثرى ومن شايعه من نسبة شيخ الإسلام إلى المجسمة، بينما هو فى كتابه ينص صراحة على رفض التعطيل والتجسيم معاً ، وقد نشرت منذ عدة سنوات رسالة « حول » التجسيم عند المسلمين نفت هذا الافتراء بشكل قاطع.

ويخلص شيخ الإسلام إلى أن التأويل الذى اختص الله به هو حقيقة ذاته وصفاته والتأويل المعلوم هو الأمر الذى يعلم العباد تأويله ، مثل تأويل الأمر بالصلاة هو الصلاة نفسها ، وتأويل النهى عن القتل هو عدم القتل ، أما تأويل الخبر عن المستقبل كأشراط الساعة والقيامة والجنة والنار فهذا ينتظر ويأتى ولما يأتهم .

اللهم بصرنا بديننا واهدنا وثبت أقدامنا

أنظر :

١ - تحفة الإخوان فى صفات الرحمن: د. محمد بن محمد بن عبد العليم.

٢ - التجسيم عند المسلمين مذهب الكلامية : سهير محمد مختار ١٩٧١ .

٣ - فى التشريع الإسلامى : د. السيد أحمد خليل ١٩٦٧ دار المعارف .

٤ - القواعد المثلى : محمد بن صالح بن عثيميين . مكتبة السنة . طبعة محققة.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال شيخ الاسلام علم الأعلام ، أبو العباس أحمد بن تيمية الحرانى الدمشقى: الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم (فصل) قوله تعالى ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولانبى إلا إذا تمنّى، ألقى الشيطان في أمنيته - إلى قوله - ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم ، وإن الظالمين لفى شقاق بعيد، وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به ، فتخبت له قلوبهم، وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم﴾[1].

جعل الله القلوب ثلاثة أقسام : قاسية ، وذات مرض ، ومؤمنة مخبتة، وذلك لأنها إما أن تكون يابسة جامدة لاتلين للحق اعترافا وإذعانا ، أو لا تكون يابسة جامدة فـ (الأول) هو القاسى وهو الجامد اليابس بمنزلة الحجر، لاينطبع ولايكتب فيه الإيمان ولايرتسم فيه العلم ، لأن ذلك يستدعى محلاً ليناً.

---

(١) الحج : ٥٢

١ - قال ابن كثير : أن النبى (ﷺ) كان إذا حدث نفسه ألقى الشيطان فى حديثه على جهة الحيطة، فيقول : لو سألت الله عز وجل أن يغنمك ليستمع المسلمون ، ويعلم الله عز وجل أن الصلاح فى غير ذلك ، فيبطل ما يلقى الشيطان

تمنّى : إذا حدث نفسه — فتنة : ضلالة

مرض : شرك ونفاق .

أوتوا العلم : المقصود بهم المؤمنين ، تخبت : تخشع وتسكن

و(الثانى) لايخلو إما أن يكون الحق ثابتاً فيه لايزول عنه لقوته مع لينه، أو يكون لينه مع ضعف وانحلال، فالثانى هو الذى فيه المرض ، والأول هو القوى اللين ، وذلك أن القلب بمنزلة أعضاء الجسد كاليد مثلا، فإما أن تكون جامدة يابسة لاتلتوى ولاتبطش ، أو تبطش بعنف ، فذلك مثل القلب القاسى، أو تكون ضعيفة مريضة عاجزة لضعفها ومرضها ، فذلك الذى مرض ، أو تكون باطشة بقوة ولين فهو مثل القلب العليم الرحيم، فبالرحمة خرج عن القسوة، وبالعلم خرج عن المرض، فإن المرض من الشكوك والشبهات، ولهذا وصف من عدى هؤلاء بالعلم والإيمان والإخبات.

وفى قوله **﴿وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم﴾** دليل على أن العلم يدل على الإيمان ، ليس أن أهل العلم ارتفعوا عن درجة الإيمان ، كما يتوهمه طائفة من المتكلمة، بل معهم العلم والإيمان، كما قال تعالى **﴿لكن الراسخون فى العلم منهم ، والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك﴾**(١) وقال تعالى **﴿وقال الذين أوتوا العلم والإيمان﴾**(٢) .

وعلى هذا فقوله **﴿والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربّنا﴾**(٣) .

نظير هذه الآية : فإنه أخبر هنا أن الذين أوتوا العلم يعلمون أنه الحق من ربهم ، وأخبر هناك أنهم يقولون فى المتشابه **﴿آمنا به كل من عند ربنا﴾**.

---

(١) النساء / ١٦٢ .

(٢) الروم / ٥٦ .

(٣) آل عمران / ٧ .

وكلا الموضعين موضع شبهة لغيرهم، وأن الكلام هناك فى المتشابه[1] وهنا فيما يلقى الشيطان مما ينسخه الله ثم يحكم الله آياته، وجعل المحكم هنا ضد الذى ننسخه الله مما ألقى الشيطان.

---

(١) اختلف العلماء في تفسير المحكم والمتشابه.

أحدها: أن المحكمات هي قوله تعالى في سورة الأنعام ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا﴾ ٦/١٥١، إلى آخر الآية والآيتين اللتين بعدها، والمتشابهات هى التى تشابهت على اليهود، وهى أسماء حروف الهجاء المذكورة فى أوائل السور، وذلك أنهم أولوها على حساب الجمّل، فطلبوا أن يستخرجوا منها مدة بقاء هذه الأمة، فاختلط الأمر عليهم واشتبه، هذا القول مروى عن ابن عباس رضى الله عنهما، وزعم الفخر الرازى أن المراد به: أن المحكم مالا تختلف فيه الشرائع كالوصايا فى تلك الآيات الثلاث، والمتشابه ما يسمى بالمجمل أو هو ما تكون دلالة اللفظ بالنسبة إليه وإلى غيره على السوية إلا بدليل منفصل.

ثانيها: أن المحكم هو الناسخ، والمتشابه هو المنسوخ، وهو مروى عن ابن عباس أيضا وعن ابن مسعود وغيرهما.

ثالثها: أن المحكم ما كان دليله واضحاً لائحاً، كدلائل الوحدانية والقدرة والحكمة، والمتشابه ما يحتاج فى معرفته إلى التدبر والتأمل وعزاه الرازى إلى الأصم وبحث فيه.

رابعها: أن المحكم كل ما أمكن تحصيل العلم به بدليل جلى أو خفى، والمتشابه: مالا سبيل إلى العلم به كوقت قيام الساعة ومقادير الجزاء على الأعمال.

وهذه الأقوال ذكرها الرازى، وقد ذكر ابن جرير غيرها منها:

خامسها: أن المحكمات: ما أحكم الله فيها بيان حلاله وحرامه، والمتشابه منها: ما أشبه بعضهم بعضا فى المعانى وإن اختلفت ألفاظه، رواه ابن جرير عن مجاهد، وعبارته عنده: محكمات ما فيه من الحلال والحرام، وما سوى ذلك فهو متشابه يصرف بعضه بعضا وهو مثل قوله ﴿وما يضل به إلا الفاسقين﴾ ٢/٢٦، ومثل قوله ﴿كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون﴾ ٦/١٢٥، وكأن مجاهداً يعنى بالمتشابه: ما فيه إبهام أو عموم أو إطلاق، أو كل ما لم يكن حكما عمليا، فهو عنده خاص بالانشاء دون الخبر.

سادسها: أن المحكم من آى الكتاب: ما لم يحتمل من التأويل إلا وجها واحداً.

والمتشابه: ما احتمل أوجها. رواه ابن جرير عن محمد بن جعفر بن الزبير وعبادته عنده هكذا: =

ولهذا قال طائفة من المفسرين المتقدمين : المحكم هو الناسخ والمتشابه المنسوخ[1].

أرادوا والله أعلم قوله **﴿فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته﴾** والنسخ هنا رفع ما ألقاه الشيطان لا رفع ما شرعه الله[2].

وقد أشرت إلى وجه ذلك فيما بعد وهو أن الله جعل المحكم مقابل المتشابه تارة ومقابل المنسوخ أخرى .

والمنسوخ يدخل فيه في اصطلاح السلف، كل ظاهر ترك ظاهره لمعارض راجح، كتخصيص العام وتقييد المطلق[3].

= آيات محكمات هن حجة الرب وعصمة العباد ودفع الخصوم والباطل ، ليس لها تصريف وتحريف وتأويل ابتلى الله منهن العباد كما ابتلاهم فى الحلال والحرام ، لايصرفن إلى الباطل ولايحرفن عن الحق . أ.هـ .

سابعها : أن التقسيم خاص بالقصص، فالحكم منها ما أحكم، وفصل فيه خبر الأنبياء مع أممهم، والمتشابه : ما اشتبهت الألفاظ به من قصصهم عند التكرير فى السور ، وأطال فى التمثيل له.

ثامنها : أن المتشابه ما يحتاج إلى بيان وهو مروى عن الإمام أحمد والمحكم ما يقابله .

تاسعها : أن المتشابه ما يؤمن به ولايعمل به ذكره ابن تيمية ، والظاهر أن جميع الأخبار فالمحكم هو قسم الإنشاء .

عاشرها: أن المتشابه آيات الصفات (أى صفات الله) خاصة ومثلها أحاديثها ذكره ابن تيمية .

(١) الطبرى جـ ١٧٤/٦ ، والنسخ فى اصطلاح الأصوليين : رفع الشارع حكما شرعياً بدليل متراخ ، فالنسخ يكون فيه النصان الناسخ والمنسوخ غير مقترنين زماناً بل يكون الناسخ متأخراً عن المنسوخ .

(٢) القرطبى جـ ٤٧٧/٧ .

(٣) الموافقات للشاطبى جـ ٧٣/٣ ط صبيح .

فان هذا متشابه لأنه يحتمل معنيين ، ويدخل فيه المجمل[1] ، فإنه متشابه وإحكامه رفع ما يتوهم فيه من المعنى الذى ليس بمراد وكذلك ما رفع حكمه، فان فى ذلك جميعه نسخاً لما يلقيه الشيطان فى معانى القرآن، ولهذا كانوا يقولون : هل عرفت الناسخ من المنسوخ؟ فإذا عرف الناسخ عرف المحكم، وعلى هذا فيصح أن يقال : المحكم والمنسوخ ، كما يقال المحكم والمتشابه.

وقوله بعد ذلك ﴿ ثم يحكم الله آياته ﴾[2].

جعل جميع الآيات محكمة ، محكمها ومتشابهها ، كما قال تعالى ﴿الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت ﴾[3].

---

(١) الاجمال فى القرآن له أسباب

أحدها : أن يعرض من الفاظ مختلفة مشتركة وقعت فى التركيب لقوله ﴿فأصبحت كالصريم﴾ قيل : معناه كالنهار مبيضة لاشئ فيها ، وقيل كالليل مظلمة لاشئ فيها .

الثانى : من حذف فى الكلام ﴿وترغبون أن تنكحوهن﴾ قيل معناه ترغبون فى نكاحهن لمالهِن ، وقيل معناه : عن نكاحهن لزمانتهنّ وقلة مالهن والكلام يحتمل الوجهين .

الثالث : من تعيين الضمير ﴿أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح﴾ فالضمير فى (يده) يحتمل عوده على الولى وعلى الزوج .

الرابع : من مواقع الوقف والابتداء كقوله ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم ﴾ فقوله (الراسخون) يحتمل أن يكون معطوفا على اسم الله تعالى ويحتمل أن يكون ابتداء الكلام.

الخامس : من جهة غرابة اللفظ كقوله ﴿فلاتعضلوهن﴾ .

السابع : من جهة التقديم والتأخير كقوله ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى﴾ تقديره : ولو كلمة سبقت من ربك أو أجل مسمى لكان لزاماً .

الثامن : من جهة المنقول المنقلب كقوله ﴿وطور سنيين﴾ أى طور سينا ﴿إن يتبعون إلا الظن﴾.

(٢) الحج / ٥٢ .

(٣) هـود / ١ .

وقال ﴿تلك آيات الكتاب الحكيم﴾[1] على أحد القولين، وهنالك جعل الآيات قسمين : محكما ومتشابها ، كما قال ﴿منه آيات محكمات هُنَّ أمُّ الكتاب وأُخَر متشابهات﴾[2] وهذه المتشابهات مما أنزله الرحمن ، لا مما ألقاه الشيطان ونسخه الله فصار المحكم فى القرآن تارة يقابل بالمتشابه ، والجميع من آيات الله، وتارة يقابل بما نسخه الله مما ألقاه الشيطان . ومن الناس من يجعله مقابلا لما نسخه الله مطلقا ، حتى يقول هذه الآية محكمة ليست منسوخة، ويجعل المنسوخ ليس محكما، وإن كان الله أنزله أولا اتباعاً لظاهر من قوله فينسخ الله ويحكم الله آياته .

فهذه ثلاث معان تقابل المحكم ينبغى التفطن لها .

وجماع ذلك أن الإحكام تارة يكون فى التنزيل فيكون فى مقابلته ما يلقيه الشيطان، فالمحكم المنزل من عند الله أحكمه[3] الله أى فصله من الاشتباه بغيره وفصل منه ما ليس منه، فإن الأحكام هو الفصل والتمييز، والفرق والتحديد الذى به يتحقق الشئ ويحصل إتقانه ولهذا دخل فيه معنى المنع كما دخل فى الحد بالمنع جزء معناه لاجميع معناه وتارة يكون فى إبقاء التنزيل عند من قابله بالنسخ الذى هو رفع ما شرع وهو اصطلاحى، أو يقال وهو أشبه بقول السلف: كانوا يسمون كل رفع نسخا ، سواء كان رفع حكم أو رفع دلالة ظاهرة[4] وإلقاء الشيطان فى أمنيته قد يكون فى نفس المبلّغ، وقد يكون.

---

(١) يونس / ١ .

(٢) آل عمران / ٧ .

(٣) المحكمات من أحكم الشئ بمعنى : وثقه وأتقنه ، والمعنى العام لهذه المادة المنع ، فإن كل محكم يمنع بإحكامه تطرق الخلل إلى نفسه ومنه الحكم والحكمة الفرس، قيل وهى أصل المادة.

(٤) الموافقات للشاطبى جـ ٧٣/٣ .

في فهمه كما قال ﴿أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها﴾[1] الآية ومعلوم أن من سمع النص الذى قد رفع حكمه أو دلالة له فإنه يلقى الشيطان فى تلك التلاوة ، اتباع ذلك المنسوخ فيحكم الله آياته بالناسخ الذى به رفع الحكم وبان المراد، وعلى هذا التقدير فيصح أن يقال : المتشابه المنسوخ بهذا اعتبار والله أعلم.

وتارة يكون الإحكام فى التأويل[2] ، والمعنى وهو تمييز الحقيقة المقصودة من غيرها حتى تشتبه بغيرها ، وفى مقابلة المحكمات الآيات المتشابهات التى تشبه هذا وتشبه هذا ، فتكون محتملة للمعنيين ، ولم يقل فى المتشابه يعلم تفسيره ومعناه إلا الله ، وإنما قال ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ وهذا هو فصل الخطاب بين المتنازعين فى هذا الموضع فإن الله أخبر أن لايعلم تأويله إلا هو.

والوقف هنا على ما دل عليه أدلة كثيرة وعليه أصحاب رسول الله (ﷺ) وجمهور التابعين وجماهير الأمة .

ولكن لم ينف علمهم بمعناه وتفسيره بل قال ﴿كتاب أنزلناه إليك ليدبروا آياته﴾[3] .

وهذا يعم الآيات المحكمات والآيات المتشابهات ، ومالا يعقل له معنى لا يتدبر وقال ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾[4] ولم يستثن شيئا منه نهى عن تدبره،

---

(١) الرعد / ١٧ .

(٢) التأويل يكون بمعنى التفسير ، ويكون بمعنى ما يؤول الأمر إليه ، واشتقاقه من آل الأمر إلى كذا يؤول إليه، أى صار وأولته تأويلا أى صيرته، وقد عرفه بعض الفقهاء بقولهم: هو إبداء احتمال فى اللفظ مقصود بدليل خارج عنه .

(٣) ص / ٢٩ ، أى اتباعه بعمله .

(٤) النساء / ٨٢ .

والله ورسوله إنما ذم من اتبع المتشابه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله[1] فأما من تدبر المحكم والمتشابه كما أمره الله وطلب فهمه ومعرفة معناه فلم يذمه الله ، بل أمر بذلك ومدح عليه .

يبين ذلك أن التأويل قد روى أن من اليهود الذين كانوا بالمدينة على عهد النبى (ﷺ) كحيى بن أخطب وغيه من طلب من حروف الهجاء التى فى أوائل السور تأويل هذه الأمة .[2]

---

(١) روى مسلم عن عائشة أن النبى ﷺ قال حينما تلا هذه الآية قال (إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سماهم الله فاحذروهم) .

(٢) أخرج البخارى فى التاريخ وابن جرير عن ابن عباس عن جابر بن عبد الله قال : مر أبو ياسر بن أخطب ، فجاء رجل من يهود لرسول الله (ﷺ) وهو يتلو فاتحة سورة البقرة ﴿الم ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾ فأتى أخاه حيى بن أخطب فى رجال من اليهود ، فقال أتعلمون؟ والله لقد سمعت محمداً يتلو فيما أنزل عليه ﴿الم . ذلك الكتاب﴾ فقال : أنت سمعته قال: نعم . فمشى حتى وافى أولئك النفر إلى رسول الله (ﷺ) فقالوا : ألم نقل إنك تتلو فيما أنزل عليك ﴿الم ذلك الكتاب﴾ ؟ فقال : بلى فقالوا : لقد بعث بذلك أنبياء ما نعلمه بيّن لنبى منهم ما مدة ملكه، وما أجل أمته غيرك ، الألف واحدة واللام ثلاثون والميم أربعون فهذه إحدى وسبعون سنة ، ثم قال : يا محمد هل مع هذا غيره؟ قال : نعم ﴿المص﴾ قال: هذه أثقل وأطول ، الألف واحدة واللام ثلاثون والميم أربعون والصاد تسعون هذه إحدى وثلاثون ومائة هل مع هذا غيره؟ قال : نعم ﴿الر﴾ قال : هذه أثقل وأطول : الألف واحدة واللام ثلاثون والراء مائتان ، هذه إحدى وثلاثون ومائتا سنة هل مع هذه غيره؟ قال : نعم ﴿المر﴾ قال : هذه أثقل وأطول . هذه إحدى وسبعون ومائتان . ثم قال لقد لبس علينا أمرك حتى ما ندرى أقليلا أعطيت أم كثيرا . ثم قال : قوموا عنه. ثم قال أبو ياسر لأخيه ومن معه: ما يدريكم لعله قد جمع هذا كان لمحمد . إحدى وسبعون ، وإحدى وثلاثون ومائة وإحدى وثلاثون ومائتان ، وإحدى وسبعون ومائتان ، فذلك سبعمائة وأربع سنين ! فقالوا : لقد تشابه علينا أمره ، فيزعمون أن هذه الآيات نزلت فيهم ﴿وهو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات﴾ الدر المنثور جـ٢/٧-٨ .

كما سلك ذلك طائفة من المتأخرين موافقة للصابئة المنجمين ، وزعموا أنه ستمائة وثلاثة وتسعون عاما ، لأن ذلك هو عدد ما للحروف فى حساب الجمل بعد إسقاط المكرر ، وهذا من نوع تأويل الحوادث التى أخبر بها القرآن فى اليوم الآخر .

وروى أن من النصارى الذين وفدوا على النبى (ﷺ) فى وفد نجران من تأويل إنا ونحن[1] ، على أن الآلهة ثلاثة لأن هذا ضمير جمع ، وهذا تأويل فى الإيمان بالله ، فأولئك تأولوا فى اليوم الآخر ، وهؤلاء تأولوا فى الله ، ومعلوم أنّ إنا ونحن من المتشابه ، فإنه يراد بها الواحد الذى معه غيره من جنسه ، ويراد بها الواحد الذى معه أعوانه وإن لم يكونوا من جنسه ، ويراد بها الواحد المعظم نفسه الذى يقوم مقام من معه غيره لتنوع أسمائه التى كل اسم منها يقوم مقام مسمى ، فصار هذا متشابها لأن اللفظ واحد والمعنى متنوع و«الأسماء المشتركة فى اللفظ»[2] هى من المتشابه وبعض «المتواطئة» أيضا من المتشابه، ويسميها أهل التفسير «الوجوه والنظائر»[3] وصنفوا كتب الوجوه والنظائر ، فالوجوه فى الأسماء المشتركة ، والنظائر فى الأسماء المتواطئة، وقد ظن بعض أصحابنا المصنفين فى ذلك أن الوجوه والنظائر جميعاً فى الأسماء المشتركة ، فهى نظائر باعتبار اللفظ ووجوه باعتبار المعنى ، وليس الأمر على ما قاله ، بل كلامهم صريح فيما قلناه لمن تأمله .

---

(١) القرطبى جـ ٢ / ١٢٥٥ .

(٢) الاسم المشترك هو اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين ، فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة ، واختلف الناس فيه ، فالأكثرون على أنه ممكن الوقوع لجواز أن يقع إما من واضعين بأن يضع أحدهما لفظ المعنى ثم يضعه آخر لمعنى آخر ، ويشتهر ذلك اللفظ بين الطائفتين فى إفادته المعنيين .

(٣) المزهر فى علوم اللغة للسيوطى جـ ٣/٣ وما بعدها .

والذين فى قلوبهم زيغ[1] يدعون المحكم الذى لا اشتباه فيه مثل ﴿وإلهكم إله واحد[2] - إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى[3] - ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله[4] - ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك[5] - لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد[6]﴾ ويتبعون المتشابه ابتغاء الفتنة ليفتنوا به الناس إذا وصفوه على غير مواضعه، وابتغاء تأويله وهو الحقيقة التى أخبر عنها ، وذلك أن الكلام نوعان: إنشاء فيه الأمر وإخبار[7].

فتأويل الأمر هو نفس الفعل المأموربه ، كما قال من قال من السلف إن السنة هى تأويل الخبر .

قالت عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله (ﷺ) يقول فى ركوعه وسجوده «سبحانك اللهم وبحمدك واستغفره إنه كان تواباً»[8].

وأما الإخبار فتأويله عين الأمر المخبر به إذا وقع ، ليس تأويله فهم معناه وقد جاء اسم (التأويل) فى القرآن فى غير موضع وهذا معناه قال الله تعالى

---

(١) الزيغ : الميل ومنه زاغت الشمس وزاغت الأبصار ويقال : زاغ يزيغ زيغاً إذا ترك القصد.
(٢) البقرة / ١٦٣ . (٣) طه / ١٤ .
(٤) المؤمنون / ٩١ . (٥) الإسراء / ١١١ .
(٦) الصمد / ٣ - ٥ .
(٧) هذه الأساليب التى تزاولها إنما تنحصر فى قسمين اثنين : أساليب خبرية وأساليب إنشائية .
أن الكلام إن احتمل الصدق والكذب لذاته بحيث يصح أن يقال لقائله إنه صادق أو كاذب سمى كلاما خبرياً .
وإن كان الكلام بخلاف ذلك أى لايحتمل الصدق والكذب لذاته ولايصح أن يقال لقائله إنه صادق أو كاذب ، لعدم تحقق مدلوله فى الخارج وتوقفه على النطق به سمى كلاما إنشائيا.
(٨) البخارى فى كتاب الآذان باب ١٣٩ التسبيح والدعاء فى السجود حديث رقم ٨١٧ مسلم فى كتاب الصلاة باب ما يقال فى الركوع والسجود .

﴿ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم ، هدى ورحمة لقوم يؤمنون ، هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق﴾[1].

فقد أخبر أنه فصل الكتاب ، وتفصيله بيانه وتمييزه بحيث لايشتبه ثم قال (هل ينظرون) أي ينتظرونه ﴿إلا تأويله يوم يأتي تأويله﴾ إلى آخر الآية.

وإنما ذلك مجيء ما أخبر به القرآن بوقوعه من القيامة وأشراطها، كالدابة ويأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها ومجيء ربك والملك صفاً صفاً، وما في الآخرة من الصحف والموازين ، والجنة والنار وأنواع النعيم والعذاب وغير ذلك[2] ، فحينئذ يقولون ﴿قد جاءت رسل ربنا بالحق؟ فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا؟ أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل﴾[3].

وهذا القدر الذي أخبر به القرآن من هذه الأمور لايعلم وقته وقدرته وصفته إلا الله ، فإن الله يقول ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾[4].

ويقول « أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر »[5] وقال ابن عباس : ليس في الدنيا مما في الجنة

---

(١) الأعراف / ٥٢ وانظر تفسيرها في الطبري جـ ٢٣٧/١٢ .

(٢) الطبري جـ ٣٧٩/١٢

(٣) الأعراف / ٥٣ .

(٤) السجدة / ١٧ .

(٥) البخاري في كتاب التفسير باب (ومن سورة تنزيل السجدة) حديث رقم ٤٧٨٠ .
مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها جـ ١٠ / ٢٨٢ .
الترمذي في كتاب التفسير باب (ومن سورة الواقعة) حديث رقم ٣٢٩٢ .
ابن ماجة في كتاب الزهد باب ٣٩ صفة الجنة حديث رقم ٤٣٢٨ .

إلا الأسماء[1].

فإن الله قد أخبر أن فى الجنة خمراً ولبناً وماء وحريراً وذهباً وفضة وغير ذلك، ونحن نعلم قطعاً أن تلك الحقيقة ليست مماثلة لهذه ، بل بينها تباين عظيم مع التشابه كما فى قوله ﴿وأتوا به متشابها﴾[2]. على أحد القولين أن يشبه ما فى الدنيا وليس مثله ، فأشبه اسم تلك الحقائق أسماء هذه الحقائق ، كما أشبهت الحقائق من بعض الوجوه ، فنحن نعلمها إذا خوطبنا بتلك الأسماء من جهة القدر المشترك بينهما، ولكن لتلك الحقائق خاصية لاندركها فى الدنيا، ولاسبيل إلى إدراكنا لها لعدم إدراك عينها أو نظيرها من كل وجه، وتلك الحقائق على ما هى عليه هى تأويل ما أخبر الله به ، وهذا فيه رد على اليهود والنصارى والصابئين من المتفلسفة وغيرهم ، فإنهم ينكرون أن يكون فى الجنة أكل وشرب ولباس ونكاح ويمنعون وجود ما أخبر به القرآن ، ومن دخل فى الإسلام ونافق المؤمنين تأول ذلك على أن هذه أمثال مضروبة لتفهيم النعيم الروحانى إن كان من المتفلسفة الصابئة[3] المنكرة لحشر الأجساد، وإن كانه من منافقة الملتين المقرين بحشر الأجساد ، تأول ذلك على تفهيم النعيم الذى فى الجنة من الروحانى والسماع الطيب والروائح العطرة، فكل ضال يحرف الكلم

(١) ابن كثير جـ ٦٣/١ .

(٢) البقرة / ٢٥ .

(٣) يقول صاحب الملل والنحل : إن الصبوة فى مقابل الحنيفية ، وفى اللغة صبا الرجل إذا مال وزاغ، فبحكم ميل هؤلاء عن سنن الحق وزيغهم عن نهج الأنبياء قيل لهم الصابئة .
ومذهب هؤلاء أن للعالم صانعاً فاطراً حكيماً مقدساً عن سمات الحدثان والواجب علينا معرفة العجز عن الوصول إلى جلاله ، وإنما يتقرب إليه بالمتوسطات المقربين لديه وهم الروحانيون المطهرون المقدسون .
وهم يقولون أن الأنبياء أمثالنا فى النوع وأشكالنا فى الصورة يشاركوننا فى المادة يأكلون مما نأكل ويشربون مما نشرب ويساهموننا فى الصورة ، أناس بشر مثلنا فمن أين لنا طاعتهم بأية مزية لهم لزم متابعتهم ﴿ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذا لخاسرون﴾ جـ ٩٥/٣ .

عن مواضعه إلى ما اعتقد ثبوته، وكان فى هذا أيضا متبعاً للمتشابه ، إذ الأسماء تشبه الأسماء ، والمسميات تشبه المسميات ولكن تخالفها أكثر مما تشابهها ، فهؤلاء يتبعون هذا المتشابه (ابتغاء الفتنة) بما يوردونه من الشبهات على امتناع أن يكون فى الجنة هذه الحقائق ﴿وابتغاء تأويله﴾ ليردوه إلى المعهود الذى يعلمونه فى الدنيا . قال الله تعلى ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ فإن تلك الحقائق قال الله فيها ﴿فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين﴾.

لاملك مقرب ولا نبى مرسل .

وقوله ﴿ وما يعلم تأويله ﴾ أما أن يكون الضمير عائداً على الكتاب أو على المتشابه فإن كان عائداً على الكتاب كقوله (منه) و(منه) فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله فهذا يصح ، فإن جميع آيات الكتاب المحكمة والمتشابهة التى فيها إخبار عن الغيب الذى أمرنا أن نؤمن به لايعلم حقيقة ذلك الغيب ومتى يقع إلا الله .

وقد يستدل لهذا أن الله جعل التأويل للكتاب كله مع إخبارة أنه مفصل بقوله ﴿ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم ، هدى ورحمة لقوم يؤمنون، هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتى تأويله﴾[1] .

فجعل التأويل الجائز للكتاب المفصل .

وقد بينا أن ذلك التأويل لا يعلمه وقتا وقدراً ونوعاً وحقيقة إلا الله، وإنما نعلم نحن بعض صفاته بمبلغ علمنا لعدم نظيره عندنا وكذلك قوله ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله﴾[2] .

(١) الأعراف / ٥٢ .

(٢) يونس / ٣٩ قبل الفهم والمعرفة ، وقيل لم يحصلوا ما فيه من الهدى ودين الحق .

وإذا كان التأويل للكتاب كله والمراد به ذلك ارتفعت الشبهة ، وصار هذا بمنزلة قوله ﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها ، قل : إنما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها إلا هو ، ثقلت فى السموات والأرض﴾[1] إلى قوله ﴿إنما علمها عند الله﴾ وكذلك قوله ﴿يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا﴾[2].

فأخبر أن ليس علمها إلا عند الله ، وإنما هو علم وقتها المعين وحقيقتها، وإلا فنحن قد علمنا من صفاتها ما أخبرنا به ، فعلم تأويله كعلم الساعة، والساعة من تأويله ، وهذا واضح بين ، ولاينافى كون علم الساعة عند الله أن نعلم من صفاتها وأهوالها ما علمناه ، وأن نفسر النصوص المبينة لأحوالها فهذا هذا.

وإن كان الضمير عائداً إلى ما تشابه، كما يقوله كثير من الناس فلأن المخبر به من الوعد والوعيد متشابه بخلاف الأمر والنهى، ولهذا فى الآثار (العمل بمحكمه والإيمان بمتشابهه)[3] لأن المقصود فى الخبر الإيمان، وذلك لأن المخبر به من الوعد والوعيد فيه من المتشابه ما ذكرناه بخلاف الأمر والنهى، ولهذا قال بعض العلماء: المتشابه: الأمثال والوعد والوعيد والمحكم والأمر والنهى[4].

---

(١) الأعراف / ٨٧ . (٢) الأحزاب / ٦٣ .

(٣) المتشابه يطلق فى اللغة على ماله أفراد أو أجزاء يشبه بعضه بعضاً وعلى ما يشتبه من الأمر أى يلتبس .

قال فى الأساس: وتشابه الشيئان واشتبها ومشتبهته به وشبهته إياه واشتبهت الأمور وتشابهت: التبست لإشباه بعضها بعضا ، وفى القرآن المحكم والمتشابه ، وشبه عليه الأمر ، لبس عليه ، وإياك والمشبهات الأمور المشكلات .

(٤) سبق تفصيل معنى المتشابه .

فإنه متميز غير مشتبه بغيره ، فإنه أمور نفعلها قد علمناها بالوقوع ، وأمور نتركها لابد أن نتصورها .

ومما جاء من لفظ (التأويل) فى القرآن قوله تعالى ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله﴾[1] .

والكناية عائدة على القرآن أو على ما لم يحيطوا بعلمه وهو يعود إلى القرآن.

قال تعالى ﴿وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ، أم يقولون افتراه؟ قل : فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ، بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله ، كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ، ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين﴾[2] فأخبر سبحانه أن هذا القرآن ما كان ليفترى من دون الله[2] وهذه الصيغة تدل على امتناع المنفى كقوله ﴿وما كان ربك ليهلك القرى بظلم﴾[3] وقوله ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾[4] لأن الخلق عاجزون عن الإتيان بمثله كما تحداهم وطالبهم لما قال ﴿أم يقولون افتراه ؟ قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من

---

(١) يونس / ٣٩ .

(٢) يونس / ٣٧ - ٤٠ .

(٣) أى مثل هذا القرآن لايكون إلا من عند الله ولا يشبه هذا كلام البشر .

(٣) هود / ١١٧ .

(٤) الأنفال / ٣٣ .